سجاد الأناضول

للدكتور محمد مصطفى

« بمناسبة معرض السجاد الذى يقام الآن فى دار الآثار العربية »

— ١ —

تقدمة :

للأناضول اتصال وثيق بتطور الحضارات القديمة . وقد كان ينقسم إلى عدة دويلات أهمها مملكة فريجيا التى سيطرت على الأناضول من سنة ٢٠٠٠ إلى سنة ٨٠٠ قبل الميلاد ، وتلاها مملكة ليديا ، إلى أن فتحه الاسكندر الأكبر فى سنة ٣٥٠ق م فصار جزءاً من الدولة المقدونية . وبعد وفاة الاسكندر انقسم الأناضول ثانية إلى دويلات دامت حتى سنة ١٣٣ق م لما استولى عليه الرومان وجعلوه مقاطعة تابعة لهم . وفى سنة ٣٩٥ ميلادية عند تجزئة الدولة الرومانية الكبرى ، كان الأناضول من نصيب الدولة الرومانية الشرقية أو البيزنطية . وجاء السلاجقة من بلاد التركستان الصينية ، وامتد ملكهم إلى إيران ، ثم العراق ، ثم الأناضول ، وهنا مكثوا من سنة ١٠٣٧ — ١٣٠٠م . وكانت عاصمة دولتهم مدينة قونية . وخلف الأتراك العثمانيون السلاجقة فى الأناضول ، وكانت عاصمتهم فى أول الأمر مدينة بورصا حيث بنى سلاطينهم قصراً عظيماً كان أحد أبوابه يسمى «الباب العالى» وانتقلوا من بورصا إلى أدرنة ، فمكثوا بها إلى أن فتح السلطان محمد الفاتح مدينة القسطنطينية فى سنة ١٤٥٣م فصارت عاصمة الدولة العثمانية

وبعد تحطيم الدولة البيزنطية وفتح القسطنطينية صارت تركيا من أقوى الدول الشرقية ، فاستطاع السلطان سليم الأول أن يفتح مصر سنة ١٥١٧م ، وغزا ابنه السلطان سليمان القانونى بلاد إيران واستولى على تبريز وبغداد . وأخذ العثمانيون معهم من مصر وإيران الصناع والفنانين ، فعاونوا على نهضة الفنون وازدهارها فى تركيا

ولما أمن العثمانيون جانب البلاد الشرقية اتجهوا نحو أوربا وامتدت فتوحاتهم بها حتى وصلوا إلى فينا . وكانت تركيا أقرب دول الشرق إلى أوربا ، فحملت إليها لواء الفن الإسلامى ، وكان لها أثر كبير فى عصر النهضة الفنية بإيطاليا ، حتى إننا نجد أن قطع نسيج القطيفة المصنوعة فى إيطاليا فى القرن السادس عشر شديدة الشبه من حيث الرسوم والصناعة بقطع القطيفة التركية ، المصنوعة فى مدينة أسكوتارى على ساحل الأناضول المواجه للقسطنطينية

وكما دالت دول كثيرة كانت فى غابر الزمان قوية وعظيمة ، نرى الانحلال وقد بدأ يدب فى عروق الدولة العثمانية ، فارتدت جيوشها عن « باب أوربا » بعد أن صمد لها الأوربيون فى فينا . وجاء القرن التاسع عشر وكانت الكهولة قد بلغت حد الهرم ، ففقد « الرجل الهرم » مكانته القديمة بين الدول لما عجز عن أن يجعل خصومه يشعرون بقوة حسامه ، ويدينون بمبادئه وأفكاره ، وطغى الرخيص من الفنون الأخرى على جمال الفن التركى فذهب به وأفقده زهوه وبهاءه :

العناصر الزخرفية فى سجاد الأناضول

كانت العناصر الزخرفية من النوع الهندسى هى السائدة على فنون الأناضول حتى القرن الخامس عشر . ويتبين لنا ذلك

فبقيت متحيراً لا أدرى ما أراد ، فجئت أستاذى فشرحت له الحال ، فقال : ويحك ! أخطأت خطيئة عظيمة ؛ لأن هذه الكلمة لأبى نؤاس يصف كلباً حيث يقول :

أنتَ كلباً ، أهلُه فى كدّه
قد سعدت جدودهم بجِده[1]
وكل خـــير عندهم من عنده

فمدت متوشحاً بكساء فوقفت بين يدى الملك ، فقال : مالك ؟ فقلت : حمت الساعة . فقال : هل تعرف سبب حماك ؟ قلت : نظرت فى ديوان أبى نؤاس

فقال : لا تخف . لا بأس عليك من هذه الحمى ...

محمد إسعاف النشاشيبى

(١) جدودهم : حظوظهم ، والجد بفتح الجيم : البخت ، الحظ . بجده باجتهاده . فى المصباح : الجد فى الأمر الاجتهاد ، ومنه يقال : فلان محسن جداً أى نهاية ومبالغة

بوضوح من زخارف التحف الفنية التى ترجع إلى هذا العصر ، ومن صور سجاد الأناضول التى رسمها فنانو البندقية فى لوحاتهم الزيتية خلال القرن الرابع عشر ، ومن قطع السجاد القديمة المعروفة إلى الآن ، ومن بينها ما عثر عليه فى جامع علاء الدين بقونية ، وهذه تؤرخ بسنة ١٢٢٠م وهى محفوظة فى متحف الأوقاف باستامبول

فالطريقة الجافة الجامدة فى رسم الوحدات الزخرفية بخطوط مستقيمة تنكسر فى زوايا محددة ، والعناصر الزخرفية النباتية، مثل الزهور والفروع والأوراق التى تهذب عادة بطريقة هندسية حتى تبلغ درجة يصعب معها تمييز هذه الزهور ومعرفة أصولها ، وكذلك تلوين السجاد بألوان باهتة ومزوجة بأخرى ، كل هذا من الميزات الهامة لسجاد الأناضول قبل أن يتأثر بالأسلوب الإيرانى

وتختلف رسوم سجاد الأناضول المصنوع قبل سنة ١٣٠٠م عن رسوم السجاد المصنوع بعد هذا التاريخ . فقد كانت ترسم على النوع الأول وحدات زخرفية مأخوذة من الفن الساسانى البيزنطى . والمعروف أن العنصر الزخرفى الشائع فى الفن الساسانى البيزنطى فى ذلك الوقت كان فى شكل دوائر تضم كل منها طائراً أو اثنين بهيئة رمزية . وقد حوّر فنانو الأناضول الشكل الدائرى إلى شكل ذى ثمانية أضلاع ، أى إلى خطوط مستقيمة تنكسر فى زوايا لها مظهر فيه الكثير من الجمود وشدة الجفاف ، لأن طبيعتهم تنفر من الأشكال الدائرة المرنة ، وكان إطار السجاجيد فى العصر السلجوقي يزين بشريط من شبه الكتابة الكوفية ، تتفق فى مظهرها مع باقى الوحدات الزخرفية ذات الشكل الهندسى . ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن الرحالة الشهير « ماركوبولو » ، كان قد ذهب إلى هذه البلاد فى سنة ١٢٨٣ وزار السلاجقة فى عاصمتهم قونية وكتب عن ذلك يقول إن أحسن وأجود سجاد العالم يصنع في الأناضول

أما بعد سنة ١٣٠٠م فقد قام آل عثمان على إنقاض الدولة السلجوقية فى بلاد الأناضول وأسسوا الدولة العثمانية ، وكانوا شديدى التمسك بتعاليم السنّة وكره رسوم الكائنات الحية ، فعملوا على إختفاء صور الحيوانات والطيور من التحف الفنية ومن السجاد . ومنذ بدء القرن السادس عشر أخذوا فى تقليد رسوم قطع السجاد الممتازة الإيرانية ، فأدخلوا بذلك عناصر جديدة على أنواع الزخارف فى الأناضول ، واستطاعوا فى أواخر هذا القرن أن يكونوا لأنفسهم أسلوباً فنياً خاصاً بهم ، عنى فيه أشد العناية بالزخارف النباتية فى تطوراتها المختلفة حتى بلغت أقصى حدود الكمال ، مثال ذلك الزارح النخيلية وأنواع الزهور المهذبة « الأرابسك » والأوراق المسننة التى تشبه سنان الحراب ، وكذلك الزهور المحببة إلى سكان الأناضول كالقرنفل وزهور السوسن ذات السيقان الرقيعة

(شكل ١)

واقتبس فنانو الأناضول من بين العناصر الزخرفية المغولية ما يسمى « السحب الصينية » « تشى » ، وإن كانوا قد تجنبوا تكرار استعمال غيرها من الزخارف المغولية كصور الحيوانات الخرافية التى تتنافر مع شدة تمسكهم بتعاليم السنة . وقد ظهر هذا التأثير المغولى فى سجاد الأناضول فى القرن الرابع عشر ، ولم يكن ذلك نتيجة لفتوحات المغول وامتدادها إلى العراق

وسوريا ، بل نشأ عن التبادل التجارى الواسع المدى بين الصين وبلاد الشرق الأدنى ، وما كان لأنواع الصناعات الصينية من أثر كبير فى فنون هذه البلاد كما نرى ذلك بوضوح فى زخارف وأنواع الأوانى الخزفية والمنسوجات المصرية وسجاد الأناضول وغير ذلك من صناعات هـذا العصر . وظهر هذا التأثير لأول مرة فى شكل « مصارعة التنين للعنقاء » على سجادة رسمها المصور دومينيكو دى بارتولو فى إحدى لوحاته حوالى سنة ١٤٤٠م

ويحتوى المتر المربع من سجاد الأناضول عادة على ١٥٢٠٠٠ عقدة ، ويصنع من صوف الأغنام الناعم ، وهو أرق وألين من سجاد إيران . والألوان الشائعة فيه هى : الأحمر الباهت والأخضر النباتى الفاتح ، والأزرق المائل للاخضرار ، والأصفر الليمونى ، والأبيض الناصع ، وقد تأخرت صناعة السجاد فى الأناضول فى النصف قرن الماضى واندمجت بها أشياء دخيلة على هذه البلاد ، فتأثرت رسومها بالفنون الأوربية ، واستبدلت الألوان الطبيعية بالألوان الصناعية « الانيلين » الذى أسىء استعماله ، ومزج صوف أغنام الأناضول بالصوف المستورد من استراليا .

أنواع سجاد الأناضول

توجد أنواع كثيرة من سجاد الأناضول ، ينسب بعضها إلى نوع عناصره الزخرفية ، والبعض إلى مكان العثور عليه ، أو إلى مراكز صناعته ، أو إلى أماكن جمعه وإعداده للتصدير ، والشهير منها أنواع : عشاق ، تشنتمانى ، الأبسطة ذات الطيور ، هولباين ، سجاد ترانسلفانيا ، ودمشق ، وسجاجيد الصلاة المصنوعة فى بلاد : جورديز ، كولا ، لادق ، كيرشهر ، ميلاس ، موجور . وسجاد البدو من برغمه وقونية ، وغير ذلك من الأنواع . وسوف نتحدث فيما يلى عن كل من هذه الأنواع على حدة مع التوضيح بالصور .

وفى (شكل ١) سجادة صلاة[1] من نوع « عُشّاق » الفاخر ، من أوائل القرن السادس عشر ، عليها محراب أرضيته باللون الأزرق الفاتح ، يحدّها من أسفل بالأزرق الفاتح « سحابة صينية » كبيرة تحيط بباقة مرسومة بالألوان على أرضية حمراء . ويعلو السحابة الصينية الكبيرة أخرى صغيرة حمراء ويحيط بها زهور مهذبة . وأرضية خواصر العقد الأعلى بالأحمر وعليها فى الأركان بالأصفر الذهبى فروع وأوراق مسننة ومهذبة (أرابسك). وهذه السجادة من مجموعة حضرة صاحب السعادة الدكتور على إبراهيم باشا ، وهى معروضة الآن فى معرض سجاد تركيا بدار الآثار العربية . وليس لهذه السجادة نظير فى العالم سوى واحدة مماثلة لها تماما فى متحف الدولة ببرلين .

وسوف نتابع الحديث فى العدد القادم من « الرسالة » عن سجاد « عُشّاق » الفاخر ، ثم عن أنواع سجاد الأناضول الأخرى .[1]

« يتبع » محمد مصطفى

(١) الصور المروضة فى هذا البحث من تصوير الأستاذ محمد محمود سيد أحمد شلبى مصور دار الآثار العربية

(١) أهم مراجع هذا البحث هى الكتب التى تبحث فى موضوع السجاد ، وهى لمؤلفيها : حسين راشد وجاستون نيت وبوده وكبل ومارتين وساره وهازنبالج وأورندى وجريفين لويس وغيرهم كثيرون .

مجلس مديرية بنى سويف

تقبل العطاءات لغاية ظهر يوم ١٤ مارس سنة ١٩٤٤ عن عملية ردم برك بندر بنى سويف ، ويقدم الطلب على ورقة تمغة من فئة الثلاثين مليما للحصول على الشروط والمواصفات من الإدارة الهندسية القروية نظير دفع مبلغ ٤٠٠ مليم بخلاف مائة مليم أجرة البريد ١٨٨٢